الصبر في القرآن الكريم

دراسة سوسيو دينية

أ. لويزة مكسح
جامعة باتنة

مقدمة:

إن علم الأخلاق، علم بالفضائل وكيفية تحصيلها ليتحلى بها الإنسان وبالرذائل وكيفية اجتنابها ليتخلى عنها، فغاية الأخلاق ضبط سلوك الإنسان وربطه بالخير والفضيلة، ومن ثم كانت الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة تشكل الدعامة الأولى في بنية كل مجتمع، ونجد في هذا المجال أن كل ما يصلح للفرد يصلح بالضرورة للجماعة، فلا يمكن الفصل بين الجمعية والفردية، ولذلك قمت بدراسة الصبر الذي يمثل أحد المبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية التي تساهم في حفظ وتماسك واستمرار البناء الاجتماعي، ذلك لأن الإسلام يصور الحياة الدنيا دار بلاء ومكسب وليست دار خلود أو نعيم، ومن هنا كانت ضرورة الصبر للفرد والجماعة على السواء، ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى كشف الأبعاد الاجتماعية للصبر وبيان وظيفته في استمرار العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد في مواقف معينة وقدرته على تحقيق الأهداف وتصحيح المفهوم السلبي لبعض الناس عن الصبر، إذ يعتبرونه استسلام للمحن وصفه للضعفاء والمغلوبين على أمرهم غير أن الصبر لا يعني العجز كما سنوضحه لاحقا بل هو من يدفع الإنسان إلى العمل ومواصلة الكفاح بجد ومثابرة وبه يستطيع أن يقاوم الفقر والقلق والأحزان فالصبر يتضمن الأمل الذي يولد بدوره العمل.

أولا: حقيقة الصبر ومعناه

1- معنى الصبر:

أ- لغة: جاء في لسان العرب[i]: أصل الصبر الحبس، وكل من حبس شيئا فقد صبره، والصبر نقيض الجزع، ومنه الصبور من أسماء الله تعالى وهو الذي لا يعالج العصاة بالانتقام.

ويعني الثبات كما في قوله تعالى: ﴿**استعينوا بالصبر** ...﴾ أي بالثبات على ما انتم عليه من الإيمان.

وقال الفيروز آبادي[ii]: "صبره عنه يصبر حبسته وصبر الانسان وغيره على القتل أي يحبس ويرمى حتى يموت وقد قتله صبرا وصبره".

ب- اصطلاحا:

- يقول الدكتور القرضاوي[iii]: " الصبر في القرآن يعني: حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله كما قال تعالى: ﴿**والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم**﴾ الرعد: 22

- يقول الإمام أبو حامد الغزالي[iv]: "الصبر خاصية الإنس... إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما".

ويقول أيضا: "فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة، فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بإتباع الشياطين".

فالصبر إذن[v]: حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دوما ورعايتها إخلاصا، وتحسينها علما:

- وهو كف النفس عن المعاصي، وثباتها في مقابلة الشهوات ومقاومة الهوى.
- وهو الرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه، ولا معه.

أما المفهوم الاجتماعي للصبر فنجد الدكتور السيد حافظ الأسود يعرفه قائلا[vi]: "هو قيمة اجتماعية له دوره ووظيفته في حفظ وتماسك واستمرار البناء الاجتماعي، كما أن له مكانة بين نسق القيم الاجتماعية".

ويعتبره الدكتور محمد علوان:[vii] "وحدة بنائية بديلة في داخل أنماط العلاقات التبادلية الأخلاقية" وأطلق هنا لفظ "بديلة" لأن وحدة الصبر تتخذ صورا متعددة في داخل الأنظمة الاجتماعية المختلفة.

2- أنواع الصبر:

أنواع الصبر ثلاثة كما قال أهل العلم وهي: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله ومرجع هذا أن العبد في هذه الدنيا بين ثلاثة أحوال: بين أمر يجب عليه امتثاله، وبين نهي يجب عليه اجتنابه، وبين قضاء وقدر يجب عليه الصبر فيهما وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منها:

أ- **الصبر على طاعة الله:** وأساسه أن أركان الإسلام اللازمة تحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة يقول تعالى في الصلاة: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**﴾[viii] ويقول: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة....**﴾[ix]. فالنفس البشرية ميالة إلى الكسل والبخل وعدم الخضوع لذلك لابد من مجاهدتها ولا يتم ذلك إلا بالصبر.

ب- **الصبر عن المعاصي**[x]: وهو عنصر المقاومة للمغريات التي بثت في طريق الناس وزينت لهم اقتراف المآثم المحظورة، غير أن الإقبال على المكاره والإدبار عن الشهوات لا يأتي إلا لصبور قال صلى الله عليه وسلم: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات" وذلك لأن النفوس تشتهيها وتريد أن تقتحم فيها فإذا حبس الإنسان نفسه عنها وصبر على ذلك كان خيرا له "ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين"[xi].

ج- **الصبر على البلاء:** قال تعالى: ﴿**ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾[xii].

فالمؤمن مصاب في نفسه أو ماله، أو منزلته أو أهله وهي أعراض متوقعة لا تخلو الحياة منها ويكون الصبر هنا بحبس اللسان عن الشكوى إلى

غير الله تعالى، وحبس القلب عن السخط والجزع، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها رجاء ثوابه تعالى.

بينما نجد الإمام أبا حامد الغزالي يقسم الصبر إلى قسمين[xiii]:

الصبر البدني: كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة، إما من العبادات أو من غيرها، وإما بالإحتمال، كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة.

قال الغزالي: "وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع".

الصبر النفسي: عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، وهو المحمود التام فإذا كان هذا الصبر صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه، اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر:

فإذا كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة الجزع والهلع.

وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة البطن.

وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة، ويضاده الجبن.

وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر.

وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر.

وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر.

وإن كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص.

وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره.

فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه الصلاة والسلام مرة عن الإيمان قال: "هو الصبر" لأنه أكثر أعماله وأغزرها كما قال: ﴿الحج عرفة﴾.

قال تعالى: ﴿**والصابرين في البأساء (أي المصيبة) والضراء (أي الفقر) وحين البأس (أي المحاربة) أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾.[xiv]

4-حكم الصبر:

يقول الدكتور القرضاوي[xv]: "إن حكم الصبر إنما يكون بحسب المصبور عنه أو المصبور عليه، فالصبر عن المحرمات واجب، وتتأكد درجة وجوبه بمقدار عظم المحرم أما الصبر عن المكروه، أو عما هو خلاف الأفضل والأمثل، فلا يصل درجة الواجب وإنما هو مستحب، أو خير من مقابله، ومثال ذلك أن مقابلة السيئة بمثلها مشروعة في الإسلام، وأفضل منها العفو والصفح ومن هنا لا يكون الصبر عن مقابلة السيئة بمثلها واجبا بل أمرا مندوبا إليه ومرغوبا فيه وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾[xvi].

وفصل ذلك الإمام الغزالي في الإحياء فقال:

"أعلم أن الصبر ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم، فالصبر عن المحظورات فرض، وعلى المكاره نفل، والصبر على الأذى المحظور محظور، كمن تقطع يده، أو يد ولده، وهو يصبر عليها ساكتا ... فهذا الصبر محرم.

والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع، فليكن الشرع محل الصبر، فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود بل المراد أنواع من الصبر مخصوصة)[xvii].

فالصبر إنما يحمد إذ كان على بلاء لا يقدر الإنسان على إزالته أو التخلص منه، فأما ما كان مقدورا على دفعه أو رفعه فليس الصبر عليه مطلوبا في الدين.

ثانيا: مجالات الصبر في القرآن الكريم

1- **الصبر على بلاء الدنيا:** لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن وفقدان الأحباء، وخسران المال سواء كان مؤمنا أو كافرا، غير أن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضى وطمانينة قال تعالى: ﴿**ولنبلونكم بشيء من**

الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس، والثمرات وبشر الصابرين﴾ سورة البقرة الآية 155.

فالبلاء عام يصيب القلوب بالخوف والبطون بالجوع والأموال بالنقص والأنفس بالموت والثمرات بالآفات.

وفي هذا المجال كان صبر أنبياء الله مثلا يقتدى، فأيوب عليه السلام صبر على مرضه وفقد أهله، ويعقوب صبر على فراق ولده وكيد أبنائه، ويوسف صبر على السجن والافتراء والدس الذي مارسته امرأة العزيز[xviii].

2- **الصبر على مشتهيات النفس:** وهو الصبر عما تشتهيه النفس ويميل إليه الطبع من متاع الدنيا وزينتها وشهواتها التي يسوق إليها الهوى ويزينها الشيطان فكما يبلو الله عباده بالشر يبلوهم بالخير قال تعالى: ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾[xix].

3- **الصبر على طاعة الله:** والقيام بواجب العبودية له سبحانه وفيه جاء قوله تعالى خطابا لرسوله: ﴿**رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا**﴾[xx]، وقال: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**﴾[xxi].

وفي الصبر على طاعة الله ثلاث شعب: صبر قبل الطاعة بتصحيح النية وصبر حال الطاعة فلا يغفل أثناء تأديتها وصبر بعد العمل فلا ينظر لنفسه بعين العجب فيحبط عمله ويبطل أجره.

4- **الصبر في الدعوة إلى الله:** الدعوة إلى الله سبيلها طويل تحف به المتاعب والآلام، وذلك لأن الدعاة يطلبون من الناس أن يطلقوا أهواءهم، ويتحرروا من أوهامهم وشهواتهم ويقفوا عند حدود الله أمرا ونهيا ومن الناس من لا يؤمن بذلك فيتخذون من الدعوة عدوا يحاربونه بكل سلاح فلا يجد الدعاة أمام ذلك من مفر سوى الاعتصام باليقين والصبر.

وهذا هو السر في اقتران التواصي بالصبر بالتواصي بالحق في سورة العصر، فلا بقاء للحق بغير صبر، وهو ما وصى به لقمان الحكيم ابنه بالصبر على ما يصيبه من بلاء وأذى قال تعالى على لسانه: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[xxii] ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه قائلا: ﴿واصبر

على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾[xxiii] وقال له أيضا: ﴿ولقد كذبت رسل من قبل فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله﴾[xxiv].

5- **الصبر حين البأس:** وهو الصبر في الحرب عند لقاء الأعداء، حيث يصبح الفرار كبيرة موبقة ويصبح الثبات فريضة لازمة، فالصبر هنا شرط أساسي للنصر وعنصر ضروري للغلبة على العدو، قال صلى الله عليه وسلم: "النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا"[xxv] ومن هنا أثنى الله على الصابرين تحت ظلال السيوف فقال: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[xxvi].

6- **الصبر في مجال العلاقات الإنسانية:**[xxvii] وهو مجال الآداب والعلاقات الاجتماعية بين الناس:

أ- الصبر على الزوجة والأولاد:

النساء والبنون زينة الحياة الدنيا وهما فتنة وحتى تستقر العلاقات الزوجية لا بد أن يصبر الزوجين، كل منهما على صاحبه ويحتمل منه بعض ما لا يروقه بل بعض ما يؤذيه، فكل إنسان فيه ما يمدح وما يذم، والصبر مطلوب أيضا في علاقة الآباء مع أبنائهم والأبناء مع آبائهم فالصبر منهج للحياة الاجتماعية لأنه يساعد على استمرار واستقرار العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة التي هي نواة المجتمع.

ب- الصبر على الإخوة في الله:

إن من طبيعة الإنسان النقص والنسيان والغفلة، لذلك قد تصدر منه أفعال تؤذي إخوانه فإن قابلوها بمثل فعله كانوا عونا للشيطان عليه لذلك لابد أن يدرؤوا السيئة بالحسنة ليتراجع المخطئ، فيأتلف الشمل ويستأنف العمل، فالصبر إذن قيمة بنائية تعمل من خلال ارتباطها بالتسامح والعفو عن المقدرة وضبط النفس والتعاون على استمرار العلاقات الاجتماعية البنائية بين الأفراد وبالتالي حفظ تماسك واستمرار البناء الاجتماعي وفي هذا يقول عز وجل: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم**﴾[xxviii] وقال أيضا: ﴿**ثم كان من الذين**

آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة﴾[xxix] فالصبر سلوك جميل يهدي إلى الخير ويجعل العدو اللئيم صديقا حميما.

ج- الصبر على طلب العلم:

على طالب العلم أن يراعي آداب الطلب، ويصبر ويتجشم الصعاب ليبلغ ما أراد وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر بيان لضرورة صبر طالب العلم إن أراد أن يصل إلى بغيته ويدرك غايته (الكهف 65-78)، ولا يستعجل، لأن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

ثالثا: الصبر قيمة اجتماعية بنائية:

1- الصبر كقيمة اجتماعية في البناء الاجتماعي:

الصبر قيمة اجتماعية مرغوب فيها، لها وظيفة جمعية وأخرى فردية، فهي وسيلة تربوية إسلامية تقوم كلا من الفرد والجماعة، وتجعل كلا منهما قويا متماسكا[xxx].

فالصبر كقيمة اجتماعية له دور في استمرار العلاقات الاجتماعية التي تؤلف الوحدة الكلية للبناء الاجتماعي ودور آخر في تنميط السلوك الاجتماعي بحيث يصبح نمطا سلوكيا فالغرض الظاهر نتيجة الصبر كقيمة اجتماعية بين الناس تظهر في القدرة على ضبط النفس التي يعتبرها كولي أول الصفات الضرورية لكل نجاح، أما الغرض الحقيقي أو الوظيفة الحقيقية فتبدو في أنه وسيلة يلجأ إليها المجتمع والوحدات المؤلفة له، أي الأشخاص لمواجهة الأزمات التي تعترض مجرى الحياة الاجتماعية والتي تهدد البناء الاجتماعي بالتصدع والانهيار، وتتضح وظيفة الصبر كقيمة اجتماعية في العمليات الاجتماعية الكبرى التي تتجه بالمجتمع إلى الثبات أو الاستقرار مثل التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي[xxxi]:

أ- **الصبر والتنشئة الاجتماعية:** إن للصبر كقيمة اجتماعية في التنشئة الاجتماعية أهمية مزدوجة، في علاقته بالوالدين من ناحية على أنهما عوامل في التنشئة الاجتماعية، وعلاقته بالأطفال من ناحية أخرى من حيث أنهم موضوع التنشئة الاجتماعية، فالوالدان يؤديان أدوارهما الأسرية التي تتداخل مع أدوارهم في الأبنية الأخرى للمجتمع مما يتطلب التوفيق بين أدوارهم المختلفة.

وهذا يتطلب بدوره الصبر والتحمل والمسؤولية في تحقيق تلك الأدوار بنجاح وخاصة تجاه تنشئة الأطفال اجتماعيا.

كما أن الطفل وهو في عملية التعلم يكون موضوعا لتقييمات الآخرين خاصة في تلك المواقف التي تتطلب منه القدرة على التحمل والصبر الذي يساعده بدوره على سرعة اكتساب القيم الاجتماعية الأخرى.

ب- **دور الصبر كقيمة اجتماعية في الضبط الاجتماعي:** إذا كانت التنشئة الاجتماعية تستخدم الإرشاد فإن الضبط الاجتماعي يستخدم التحريم، وقيمة الصبر في الضبط الاجتماعي تظهر في تلك المواقف التي قد تدفع الأفراد إلى العداء أو المشاجرة أو التهجم على الآخرين حيث أنه في تلك الحالات يفكر الفرد مرتين قبل أن يسلك السلوك الذي يقبله المجتمع والمتصف بضبط النفس والحلم والصبر على مضايقات الآخرين ويفكر مرة في سلوكه غير المقبول اجتماعيا والذي يتصف بعدم الصبر وعدم الانضباط النفسي الذي يجعله موضوعا لجزاءات الرأي العام الذي يتعرض فيها للسخرية.

ج- **الصبر كميكانيزم في البناء الاجتماعي**[xxxii]: يرى راد كليف براون أن القانون والأخلاق والآداب العامة والدين والحكومة والتعليم أجزاء في الميكانيزم الذي يساعد على قيام البناء الاجتماعي وعلى استمراره في الوجود وعلى هذا الأساس يرى الدكتور السيد أنه يمكن أن نعتبر الصبر كقيمة اجتماعية جزءا من ميكانيزم العمل على استقرار العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص أو الجماعات وخاصة في الحالات العصبية التي تكون مصحوبة بالتوتر الانفعالي وكذلك الأزمات التي يتعرض بها هؤلاء الأشخاص أو تلك الجماعات.

ويتطلب ميكانيزم الصبر ربط المكافآت أو الجزاءات المختلفة بالأوضاع أو المراكز المختلفة بحيث يكون ذلك تدعيما لقيم الاجتهاد والمثابرة وتحقيق الخير للجماعة والأفراد وحصولهم على الثواب والمكانة.

وإذا لم تصبر الجماعة أو المجتمع على الأزمات الاقتصادية، والكوارث الطبيعية أو على أفرادها المنحرفين سلوكيا فإنها ستتعرض للتصدع والانهيار في بنائها الاجتماعي.

2- الصبر ونسق القيم الاجتماعية:

يعني مفهوم نسق القيم عند تشالز هو رتون كولي نسقا من الأفكار العملية أو من دوافع السلوك[xxxiii]، ويمثل نسق القيم الاجتماعية قوة دافعة وتوجيهيه لسلوك الأفراد المؤلفين للنسق الاجتماعي أو البناء الاجتماعي، لأن هناك علاقة اعتماد متبادلة بين القيم الاجتماعية لذلك لا يمكن لقيمة ما بمفردها أن تحدد أو تميز نسقا اجتماعيا ما، بل كل ما يميز النسق الاجتماعي هو نسق القيم الذي يتميز بالاتساق والتكامل، فقيم الصبر والاجتهاد وضبط النفس، والتسامح والمثابرة والعمل ... كلها قيم متساندة متسقة بصورة تكاملية لتحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي، وهي أيضا ترتبط وتتسق كي تدعم وتؤكد على قيمة الأسرة التي تدفع الأفراد داخلها وتدفع الأب إلى أن يزيد من العمل والكد والمثابرة والصبر ليس من أجل ذاته بل لأجل الأسرة التي تمثل النواة الأولى للمجتمع، بحيث يجد الفرد نفسه فيها مرتبطا بالقواعد العامة فلا يوجه أنشطته بحسب اهتماماته الشخصية بل بتقدير وتفسير الجماعة للظروف أو المواقف، وما ينطبق على الأسرة ينطبق على المجتمع، الذي يهدف أساسا إلى تحقيق حياة طيبة للأفراد لجعل الفرد وسيلة لتحقيق الخير العام للمجتمع.

فعندما يعتاد الفرد على الابتعاد عن المحرمات في المواقف المتاحة وهذا معنى الصبر عن دواعي الهوى فإن ذلك معناه الالتزام بمعايير وقيم المجتمع والذي تجعله ينأى عن ارتكاب ما لا يقره المجتمع، وفي حاله انتهاكه للمحرمات سوف يقابل بالعقاب الرادع فتلك المحرمات الاجتماعية التي يوجدها المجتمع تلعب دورا كبيرا في استقراره وفي تأكيد الأمن لأفراده.

وعندما يصبر الفرد على المكروه وعلى الألم وعلى مشاق العمل وعلى شظف العيش فإن ذلك يكون محكوما بالقيم الاجتماعية والأخلاقية التي توجهه في تلك المواقف، فعندما يصبر الفرد في مواقف الخطر والقتال فإنه يؤكد على قيم التضحية والإيثار والشجاعة ويسعى لتحقيق أهداف المجتمع أو الجماعة في الانتصار على الأعداء، فكل القيم تعمل على إبقاء القيم. ولما كانت قيمة الصبر متداخلة مع سائر القيم الاجتماعية الأخرى يقول د/ السيد: "نقول أن الصبر ليس قيمة اجتماعية تمثل هدفا في حد ذاتها فهو إذن إن صح التعبير قيمة اجتماعية وسيلية" بمعنى أنها تساعد على بلوغ الأهداف الاجتماعية أيا كانت وبصفة خاصة تلك التي تستدعي الكثير من بذل الجهد والتعاون والعون المتبادل"[xxxiv].

ويعتبر الدكتور السيد القيم الوسيلية قيم أساسية، فالصبر قيمة اجتماعية وسيلية في تحقيق الأهداف الاجتماعية، والتي يمكن تلخيصها في هدف واحد هو تحقيق الحياة الطيبة للأفراد في الدنيا والآخرة وهنا ترتبط القيم الاجتماعية بالقيم الدينية في نسق واحد متكامل يلعب فيه الصبر دور الرابطة، فالإنسان في ألمه وحزنه وفي خيبة أمله فيما يقع له، يكون لديه في نفس الوقت أمل بالسعادة والإرضاء حتى تصبح الحياة محتملة، وذلك لا يكون إلا بالصبر الذي تعلمه واكتسبه كقيمة اجتماعية من مجتمعه الذي يعيش فيه ومن دينه الذي يعتنقه قال تعالى: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾.[xxxv]

3- الصبر قيمة بنائية في العلاقات الاجتماعية:

يلعب الصبر دورا كبيرا في شبكة العلاقات الاجتماعية بحيث يمثل قيمة بنائية بمعنى أنه يقوم بتأكيد وتقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد سواء داخل الأسرة أو خارجها، وهي بذلك ليست قيمة وقتية تظهر في زمن معين نتيجة احتياج معين بل هي قيمة بنائية تمارس قولا وفعلا في كل وقت وكلما دعت الظروف والمواقف إلى ذلك، ومن خصائص القيمة البنائية أنها تقوم على أساس علاقة العون والاعتماد المتبادل بين الأفراد في الأسرة والجماعات القرابية وخارجها فالصبر قيمة بنائية لها وظيفة في الحفاظ على البناء الاجتماعي عن طريق تأكيد وتقوية العلاقات الاجتماعية المستمرة بين الأفراد داخل الأسرة أو خارجها فهناك صبر وحلم من الكبير على الصغير، وهناك تحمل وصبر من الصغير لأوامر ونواهي الكبير، كما يرتبط الصبر بحسن العلاقة مع الجيران ومع بقية الأفراد في المجتمع فالصبر إذن: قيمة بنائية يرتبط بالعون والتعاون والتسامح في العلاقات الاجتماعية وعدم ممارسة السلطة على الآخرين بل الرحمة والعفو وعدم التنافس الضار والمفاخرة بمركز أو وضع اجتماعي وهذا ضروري في إرساء العلاقات الاجتماعية القوية واستمرار البناء الاجتماعي.[xxxvi]

4- الصبر قيمة ايجابية للعمل:

يعمل الصبر دورا فعالا في انجاز الأعمال وخاصة الشاقة منها كالزراعة مثلا، وبالإضافة إلى كونه قيمة دافعة وأسلوبا ايجابيا للعمل وتحمل مشاقه واستمراره فإنه يخلق نوعا من المسؤولية المشتركة بين الأفراد تجاه العمل وهذا الاشتراك في المسؤولية يزيد من كم وكيف العمل بما يتضمنه من

تعاون، فيزيد من تماسكهم الاجتماعي ويستطيع الأفراد تحقيق أكبر جزء من العمل في أقل وقت ويصبحون بذلك قادرين على المواظبة والإسهام في تصحيح كل منهم عمل الآخر لأن التجانس وإمكانية النجاح الكامل في الجماعة يعتمد أساسا على وجود علاقة صحيحة بين القادر والأقل قدرة في مختلف النواحي من الجهد الإنساني وهذا لا يكون إلا بادراك كل منهما لمفهوم الصبر ويتساوى في ذلك الرجل والمرأة بحيث يصبح الصبر سمة يتصف بها العامل والفلاح والزوجة، ونجد قيمة الصبر ترتبط بفضائل وقيم اجتماعية أخرى كما ذكرنا ذلك آنفا مثل الكد والاجتهاد والتحمل والمثابرة اللازمة في العمل والتي يشجعها المجتمع على أساس أن الحوافز التي تحفز على العمل لا تقتصر على الحوافز المادية الخالصة بل يوجد الكثير من الحوافز الغير مادية المتصلة بالقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع.[xxxvii]

5- الصبر وسيلة لتحقيق الأهداف:

الصبر كقيمة اجتماعية بنائية، أسلوب ووسيلة لتحقيق الأهداف الجماعية والفردية وبلوغ التحسينات التي تهدف إليها الجماعة، ويعمل الأفراد على تحقيقها، وهو بمثابة قيمة توجيهية للفعل نحو الهدف، وهو وسيلة للانتقال من حال لآخر يساعد ويدفع إلى الانتقال إلى ما هو أفضل، ولما كان الصبر يمثل قيمة بالنسبة للأفراد فهو قيمة لتحقيق القيم الأخرى بمعنى أنه يعد وسيلة للانتقال من حال المرض إلى الشفاء والصحة ومن الضعف إلى القوة ومن الهزيمة إلى النصر ومن الفقر والعسر إلى الرغد واليسر ومن الجهل إلى العلم ومن الجبن إلى الشجاعة ومن سلبية الفعل إلى إيجابية ... الخ، فالصبر إذن وسيلة لتحقيق الأهداف والقيم السامية وهو كقيمة اجتماعية بنائية تعمل على إبقاء واستمرار العلاقات الاجتماعية البنائية الثابتة والتي هي بدورها أساس البناء الاجتماعي سواء داخل الأسرة أو خارجها، ويختلف معنى الصبر كأسلوب في العمل عن معناه كأسلوب في تحقيق الأهداف، لأن العمل يتطلب مثابرة وكدا واجتهادا لتحقيقه، أما لتحقيق الأهداف فيأتي فيما بعد، كما أن الأهداف قد تتحقق بدون عمل، أي بالانتظار والتوقع أو أن يتحقق على يد أشخاص آخرين، أما الصبر كأسلوب للعمل فبعني الدافعية القوية نحو الاستمرار في العمل وإن شق.

خاتمة:

مما تقدم عرضه يمكن أن نستخلص عدة نقاط أهمها :

- لا يمكن فصل الصبر كقيمة اجتماعية عن المفهوم الديني، لأنه رغم كون الصبر قيمة اجتماعية في الأصل كما توصل إلى ذلك الدكتور حافظ الأسود لكنها لا تنفصل عن الدين الذي يمثل حارس القيم.
- تلعب قيمة الصبر دورا كبيرا في استقرار العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في تفاعلهم الاجتماعي مما يؤدي في النهاية إلى استقرار البناء الاجتماعي، حيث أن الدين بتعاليمه وأوامره ونواهيه يعتبر من أقوى عوامل تحقيق التواؤم في السلوك الاجتماعي إذ يدفع الفرد إلى أن يتحمل إساءة الغير ولا يندفع في العدوان لأنه يدرك تماما بأنه إذا لم يأخذ حقه في الدنيا فسوف يناله في الحياة الآخرة لأنه يؤمن بأن الله مع الصابرين.
- الصبر كقيمة اجتماعية مرتبطة بسائر القيم الاجتماعية والأخلاقية والمعايير الاجتماعية الأخرى المؤلفة لنسق القيم الاجتماعية في المجتمع يعمل على استمرار التوازن في النسق الاجتماعي بمفهومه العام أي في استقرار العلاقات الاجتماعية بين الأفراد الفاعلين والمؤلفين للنسق الاجتماعي.
- يعمل الصبر كقيمة بنائية، على تأكيد وتقوية العلاقات الاجتماعية البنائية المستمرة بين الأفراد داخل الأسرة وخارجها، كما يقوم بدوره كاميكانيزم في استقرار البناء الاجتماعي من خلال دوره في الضبط الاجتماعي بحيث نجد أن من يتمسك بقيمة الصبر لا يندفع في السلوك الشاذ أو العدواني الذي يواجه من الجماعة بالاستنكار والعقاب، وهو بذلك يساعد على استقرار العلاقات الاجتماعية بين الأفراد خاصة عند وقوع الأزمات والمحن.
- الصبر وسيلة لتحقيق الأهداف الجمعية والذاتية، لأنه يدفع الأفراد إلى تحقيق الأهداف مهما كانت العوائق، لما يحمله من معاني التحمل والمثابرة ومواصلة الجهد بدون كلل أو ملل لتحقيق الأهداف والرفاهية للمجتمع، لذلك عد أسلوبا إيجابيا للعمل وتحمل مشاقه.
- الصبر وسيلة لتكيف الإنسان، سواء مع بيئته الاجتماعية وخاصة في علاقته مع الرؤساء والمرؤوسين، أو في مجال العمل خاصة الذي يتطلب الصبر وطول الانتظار كالزراعة مثلا، أو تكييفه وتواؤمه وتقبله لما يطرأ عليه من

نكبات وأزمات، بحيث يعتقد أن كل شيء مدبر ومنظم، وما عليه إلا أن يعمل ويثابر فإن كانت النتيجة غير طيبة فعليه بالصبر لأن كل شيء بأمر الله وقضائه.

- للصبر دور في ضبط السلوك وعدم ارتكاب المحرمات وهو بذلك عامل هام في ثبات واستقرار البناء الاجتماعي.
- الصبر نمط سلوكي يقوم بضبط الانفعالات: الخوف، الغضب، الحزن، القلق.... التي تثار في مواقف معينة ويكيفها تبعا لتلك المواقف.
- فالصبر إذن قيمة اجتماعية بنائية تظهر قي مواقف تتعلق بالأفراد أو بالمجتمع وتتطلب تحملا وعونا وضبطا للنفس وتكيفا من جهة، وبعدا عن مجال الممنوع والمحرم اجتماعيا ودينيا من جهة أخرى.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في إنجاز هذا العمل راجيين منه عز وجل التوفيق والسداد.

هوامش:

[i]- لسان العرب –ابن منظور- المجلد الرابع- دار صادر بيروت ص 437- 438.

[ii]- القاموس المحيط – الجزء الثاني – دار العلم للجميع – بيروت ص 66

[iii]- الصبر في القرآن الكريم – د/ يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة- الطبعة 10 – 1997 ص 10

[iv]- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي – المجلد الرابع – دار الفكر- الطبعة الثانية 1980 ص 2180 - 2181

[v]- الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة للهلالي – دار ابن القيم – الدمام السعودية – ط 1 – 2000 ص 7

[vi]- الصبر في التراث الشعبي المصري د/ السيد حافظ الأسود – منشأة المعارف الإسكندرية ص 37.

[vii]- مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع، د/ محمد علوان – الجزء الأول – ط1 – دار الشروق- ص 87 - 90

[viii]- سورة طه الآية 132.

[ix]- سورة البقرة الآية 45

[x]- خلق المسلم – محمد الغزالي – شركة الشهاب – الجزائر ص 136 بتصرف.

[xi]- سورة الأعراف الآية 126

[xii]- سورة البقرة الآية 155

[xiii]- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي – المجلد الرابع- دار الفكر ط2 1980 –كتاب الصبر والشكر ص 42 - 43

[xiv]- سورة البقرة الآية 177.

[xv]- الصبر في القرآن الكريم – د/ يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة ط 10 – 1997 – ص 34/33.

[xvi]- سورة النحل الآية 126

[xvii]- إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالي- ج4 ص 46

[xviii]- الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة لأبي أسامة سليم بن عبد الهلالي ص 33/32

[xix]- سورة الأنبياء الآية 35

[xx]- سورة مريم الآية 65.

[xxi]- سورة طه الآية 132.

[xxii]- سورة لقمان الآية 17.

[xxiii]- سورة المزمل الآية 10.

[xxiv]- سورة الأنعام الآية 34.

[xxv]- الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة لأبي أسامة ص 43. بتصريف

[xxvi]- سورة البقرة الآية 177.

[xxvii]- الصبر الجميل لأبي أسامة سليم بن عبد الهلالي، ص 45.

[xxviii]- سورة فصلت الآية: 34-36.

[xxix]- سورة البلد الآية 17-18.

[xxx]- مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع د/ محمد علوان – الجزء الأول – دار الشروق – ط1 1983 ص 87.

[xxxi]- الصبر في التراث الشعبي المصري د/ السيد حافظ الأسود منشأة المعارف الإسكندرية ص 43 – 45.

[xxxii]- الصبر في التراث الشعبي المصري دراسة انثروبولوجية د/ السيد حافظ الأسود منشأة المعارف الإسكندرية ص 49-54 بتصرف

[xxxiii]- الصبر في التراث المصري –د/ السيد حافظ الأسود ص 55

[xxxiv]- الصبر في تراث الشعبي المصري د/السيد حافظ الأسود ص 59

[xxxv]- سورة الزمر الآية 10

[xxxvi]- الصبر في تراث الشعبي المصري د/السيد ص 175بتصريف

- مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع د/محمد علوان جزء 1 ص 87

[xxxvii]- الصبر في التراث الشعبي المصري د/ السيد حافظ الأسود، ص